



منتدی المنهاج: الإمام الحسين (ع) فی مؤلفات الشیخ عبدالله العلائی

پدیدآورده (ها) : نورالدین، عصام؛ نصرالله، حسن عباس؛ جابر، حسن

میان رشته ای :: المنهاج :: پاییز 1376 - شماره 7

از 250 تا 272

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/208701>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 10/04/1395

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه **قوانین و مقررات** استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

منتدی

الإمام الحسين (عليه السلام)

في مؤلفات الشيخ عبدالله العلالي
مركز حقیقات فائز علوم اسلامی

المنتسدون

د. عصام نورالدين

د. حسن عباس نصرالله

د. حسن جابر

المنهج

يشير هذا القول إلى اتخاذ النهج الحسيني خياراً ينبثق من إعلانه الانتماء إلى آل البيت عليهم السلام نسباً وعقيدة وفكراً، فعلى مستوى النسب يرجع الشيخ أن يكون اسم الأسرة: «العلايلي» نسبةً إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من طريق إلحاق أداة النسب التركية «لي» باسم علي. وكانت هذه النسبة تتم أيام كان العرب متأثرين بالأتراك في كثير من شؤون حياتهم. وعلى مستوى العقيدة والفكر ألف الشيخ كتاباً في ثورة الإمام الحسين عليه السلام رائده فيها أن يقدم جديداً، وهذا شأنه في كل ما كتب.

راح الشيخ يتأمل التاريخ الإسلامي ليعيد كتابته، فألف كتاب «سمو المعنى في سمو الذات أو أشعة من حياة الحسين...»، ١٣٥٨هـ، وهدفه الاستفادة من هذا الحدث التاريخي العظيم في مواجهة الحياة المعاصرة بعدما رأى أنها بحاجة إلى توضيحات جسام ورجالات عظام. فموت العظيم، كما يقول، ليس سكوناً هامداً، بل هو خروج الحركة من مركزها لتنتشر في أحياء كثيرين على امتداد التاريخ.

عقد منتدى المنهاج ندوته السابعة في مقرّه، وموضوعها: «الإمام الحسين عليه السلام في مؤلفات الشيخ عبدالله العلايلي»، يوم الثلاثاء الواقع فيه ٢٩/ربيع الآخر ١٤١٨هـ الموافق ٢/٩/١٩٩٧م، قدّم للندوة وأدارها د. عبد المجيد زراقت، وشارك فيها د. عصام نور الدين ود. حسن عباس نصر الله ود. حسن جابر.

رحّب د. زراقت بالمشاركين والحضور، وقدّم موضوع البحث فقال: الشيخ عبدالله العلايلي علم من أعلام العلماء المسلمين الكبار في هذا العصر. ومن الإشارات الدالة على ذلك أن أديباً كبيراً مثل أمين نخلة قال: «نحن، يا صاحبي، إنما نعيش في عصر عبدالله العلايلي». وقد أسهم في صناعة أحداث عصره في غير ميدان من ميادين الحياة، فهو لغوي عريق مجدّد، وأديب مبدع: شعراً ونثراً، وفقهه مجتهد، ومصلح اجتماعي سياسي يكاد يصل في رؤيته إلى حدّ الدعوة إلى الثورة التي تبهج بسقوط قرابين الحرية، ومن أقواله في هذا المجال: «... نحن، أبناء النضال، نصقّق كلما سقطت في الميدان ضحية لأنها الإعلان بانتصار قضيتنا: قضية الحرية».

المؤتمرات والندوات، وأطروحته في الدكتوراه تناولت الفكر السياسي عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وعنوان كلمته: «شروط البحث التاريخي عند العلاليي».

د. حسن جابر: في التمهيد المنهجي الذي استهل العلاليي به «تاريخ الحسين» إضاءات علمية كثيفة تصلح، في مجملها معايير للكتابة التاريخية، وهي على الرغم من تقدمها الزمني (صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٤١. راجع: «تاريخ الحسين، نقد وتحليل»، بيروت: دار الجديد، ١٩٩٤، ط ٢، ص ١٣). لم تظهر عليها عوارض التقادم، فقد تضمنت معظم الصيغ المنهجية التي يوظفها، اليوم، الباحثون المعاصرون. لقد اعتقد، وهو على حق، أن التاريخ لا يكتب مفصلاً عن حركة الحياة، وإنما بمحاولة استحضاره حيّاً، أي بعث الحياة في ظروف الواقع وملابساته، لتكون كتابته شكلاً من المعاناة لمرحلة كان يصنعها بشرٌ لهم مصالحهم وأهواؤهم وميولهم، لا أن تكون الكتابة مجرد عرض للوقائع مفصولة عن سياقاتها المجتمعية

وعاد، بعد آونة، يسعى إلى أن يصل الحاضر بالماضي، فألف كتاب «تاريخ الحسين - نقد وتحليل». عام ١٩٤٠م.، وكتاب «أيام الحسين» عام ١٩٤٧م وكتاب أبي ذر الغفاري عام ١٩٤٨م. وبدا واضحاً له أن ثورة الإمام الحسين كانت واجباً دينياً، إنسانياً، وقد حقق هدفه، فكما محا الجد آلهة الوثنيين والأساطير، محا السبط المتألهين من الناس فحال بكفاحه دون أن يستعبد الإنسان الإنسان، ومحو الإنسان المتأله الطاغية يتيح للمرء مجال الحرية، ويعطي الحياة معناها، فيكون يوم الإمام الحسين في حقيقته وجوهه يوماً من أيام النبوة. موضوع هذه الندوة هو «الإمام الحسين في مؤلفات الشيخ عبد العلالي»، والبحث فيها يتركز في محورين، أولهما، كتابة التاريخ وبخاصة الكتابة عن الإمام الحسين: ضرورتها، منهجها، شروطها، النتائج التي توصل إليها الشيخ العلالي.

يتحدث، في هذا المحور، د. حسن جابر، وهو أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية، قسم التاريخ، ورئيس تحرير مجلة المنطلق، شارك في كثير من

● منتدى المنهاج

والتوهين والتصديق أو التكذيب للراوي .
فالمادة التاريخية الواصلة إلينا
ليست كلها صحيحة وإنما قد اعترى
بعضها التُدليس، ومن مهمة الباحث أن
يعيد قراءة المادة وفق معايير منهجية هي
من طبيعة الاتجاه الاجتماعي الذي يبدو
لي أنه كان يلتزمه، وهو على حق، في
الكتابة التاريخية .

وقد أحسن التعبير عن المراد
الاجتماعي من خلال بيتين من الشعر
لأحمد شوقي يتضمنان المراد الدقيق
من البحث الاجتماعي في التاريخ :

أفضى إلى ختم الزمان ففضّه
وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقري حتى أتى
فرعون بين طعامه وشرابه
(م.ن.، ص ١٥)

فكتابة التاريخ، وفق منطق البيت
الثاني، هي رحلة في الزمن، يخترق
فيها الباحث طبقات التاريخ في إطار
عمل حفري تنقيبي شبيه بمهام علماء
الآثار ليصل إلى الطبقة التاريخية التي
يريدها، وقد اصطلاح علماء المنهج
على تسمية الرحلة عبر الطبقات، أو
عمليات الحفر، بالمنهج التاريخي
الذي يختص فقط بالغوص في الزمن

والحياتية، وقد أطلق العلامة العلايلي
على المنهج الاجتماعي في كتابة
التاريخ مصطلحاً خاصاً به سماه
«الحيوية التاريخية» (م.ن، ص ١١) .

والحيوية التاريخية التي قصدها،
تعني إعادة تركيب المشهد التاريخي
بكل انفعالاته وخلجاته ليتمكن الباحث
من رصد مختلف العناصر فيه، والحكم
على السلوك العام والتحويلات بأدق ما
يمكن، هذا المنهج الذي يرادف ما
يعرف اليوم بالمنهج الاجتماعي في
الكتابة التاريخية، الذي يفترض
بالباحث، وفق منطق، أن يتوطن في
التاريخ، وبالتحديد، في اللحظة
السياسية والاجتماعية التي وقعت فيها
الأحداث موضوع البحث، هذا الشرط
المنهجي يقف في محصلته العلمية على
طرف النقيض من الأسلوب الإخباري
الذي وسم مختلف الكتابات التاريخية
التراثية، ومنها روايات الإخباريين
الذين تصدوا لنقل الوقائع مفصولة عن
سياقاتها بل مبتورة عن مناحاتها التي
وقعت في ظلها .

وقد قاده النقد لصورة عرض الوقائع
إلى المادة الخبرية نفسها باعتبارها لم
تخضع لمعايير دقيقة حتى في التوثيق

ليصل إلى الطبقة المقصودة، أي حتى يأتي فرعون بين طعامه وشرابه.

غير أنّ سعي الباحث للتبيُّؤ في الواقع موضوع البحث، أو الحفر عبر الطبقات للوصول إلى الحقبة المرادة، لا يعطل البتة دور الباحث، إذ يبقى، في مختلف المهام التي يضطلع بها، محور النتائج التاريخي، طالما أن قراءة المعطيات وتقديم تفسيرات منطقية للأحداث لا تعدوان الاجتهاد الشخصي للباحث.

في هذا الإطار أولى العلايلي شخصية المؤرخ وقوة حدسه ومهارته في تأويل الوقائع والأحداث وتقديمه الحدث المدروس في سياق تسلسل منطقي معقول، أولى كل هذه العناصر المطلوبة في المؤرخ أهمية خاصة.

ذلك أن تناول المادة التاريخية بعد التدقيق فيها بالتحقيق والمتابعة لكل متعلقاتها، من اللغة والفيلولوجيا، إلى تطور استعمالاتها من عصر إلى عصر، إلى الوثائق والآثار، وأخيراً الحيزين: الجغرافي الطبيعي والجغرافي السياسي اللذين شكلا الإطار المكاني للحدث أو الوقائع المراد بحثها، هذا التناول للمادة التاريخية يصبح مسرحاً يتحرك

عليه المؤرخ ويستقل في قراءته وتأويله وتفسير مجرياته بعيداً عن إسقاطات الفهم السائد، وهنا تلعب مهارة المؤرخ دورها في تقديم السياقات ومتابعة الانفعالات وتداعيات الأحداث، تماماً كأى ممارسة فنية تكون مجالاً للاجتهاد والإبداع.

فمجرد إنجاز المادة موضوع البحث وتحقيقها يستقل عقل الباحث في التعامل معها، وتحرر المادة من مختلف المؤثرات الأخرى، وعلى المؤرخ أن يتابع الحقيقة متسلحاً بحاسني الإلهام والاتجاه (م.ن، ص ١٥)، ويقصد بحاسة الإلهام؛ «القدرة الفنية التي يدخل في جملة عناصرها، سرعة الانتقال الذهني مع دقة الملاحظة» (م.ن، ص ١٦). غير أن الجانب الذي لا نوافقه الرأي فيه هو مشروعية السفر إلى التاريخ مثقلاً بزاز العصر المنتقل منه، ففيما نقول بشرطية التخفف ما أمكن من مخزون المفاهيم المعاصرة كي لا نبثلى بالإسقاطات، يسقط العلايلي هذا الشرط ولا يرى مانعاً من الانشعاب بكل الصور والأفكار والمفاهيم المعاصرة والتخفف منها تدريجياً، اتساقاً مع فهمه أو تبنيه لنظرية

● منتدى المنهاج

اختزالياً، إذ لا يولي الحرية حقها في دفع مسيرات الشعوب قدماً، ولعلّ الإنجازات التي تحققت في القرن الجاري خير دليل على وهن تلك النظرية؛ إذ شهدت البشرية قفزات هائلة تكاد تفقدها توازنها في قرن واحد بل في جيل واحد.

في هذا السياق لم يغفل العلامة العلايلي دور اللاشعور في تحريك المجتمع، وهذا العامل، كما هو معروف تحول، بعد تطوير صيغة فرويد، إلى حقل منهجي جديد لم يقتصر على السلوك الفردي فحسب وإنما تم تطويره ليطال الشق السياسي، وقد لاحظ العلايلي أنّ الأفكار والمبادئ والممارسات الاجتماعية، عندما تنغرس في وجدان المجتمع ويتفاعل هو معها تنقلب من حالة شعورية إلى لا شعورية تتحكم بنسبة من النسب في حركة المجتمعات.

جهد العلامة العلايلي، عندما شرع بالحديث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لتطبيق منهجه الذي حدد معالمه في التمهيد، وقد باشر هذا التطبيق في فصل «مقدمات لا محيد عن درسها لفهم التاريخ العربي»؛ حيث جال في النسيج

المسيرات الرئيسية المتأثرة بالعلوم البيولوجية، التي يعتقد أن شكسبير هو أول من كشفها أو مارسها عملياً فيما يعرف بطريقة تشخيص الماضي وتفسيره بالحاضر (م.ن، ص ١٧).

فنظرية المسيرات الرئيسية تقوم على تصور وجود نسبة اشتراك بين الماضي والحاضر أكبر من نسبة الاختلاف لامتناع الطّفرات، استناداً إلى نظرية داروين، وقد قاده تبنيه لنظرية المسيرات الرئيسية إلى الدخول في آليات التطور من جيل إلى جيل ونسبه، ولشدة تأثره بهذه النظرية أسهب في شرحها، وهذه النظرية التي اشتغل عليها ليفي ستراوس في البنيوية عندما اعتقد أن آليات التفكير البشري هي واحدة وكذا طرق اشتغالها، وحاول أن يماهي بين بنية عقل القبائل البدائية والإنسان المعاصر (راجع: م.ن، ص ١٩-٢٧)، مع العلم أنّ الإنسان في مسيرة تطوره يخضع لعناصر كثيرة تتضافر كلها في إطار جهد إبداعي يكون للإنسان دوراً فاعلاً فيه.

والعلايلي، عندما يتحدث متنبياً لنظرية المسيرات، لا يغفل عوامل الإسراع والإبطاء لكنه يبدو فيها

القيام به . ووصل في عرضه إلى مرحلة تحليل ظاهرة الخوارج وامتداداتها الاعتقادية وكذا السبئية .

وتطرق، في سياق تفكيكه للبنية المجتمعية، إلى النظام العام، ليصل منها إلى النظام المالي والسياسة التي اتبعها الرسول ﷺ والخليفة الأول والإمام علي وخالفهم فيها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي لم يرتض أن يجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه فجعل الامتياز بحسب السابقة، فحدث التفاوت في الأعطيات وتشكلت الطبقات والمراتب (م. ن.، ص ١١١).

وتوصل، في قراءته للتفاوت الاجتماعي، إلى أن الجند قد استقر في روعهم أن قريشاً استأثرت بالمال، ما هيئاً، في ما بعد، للشورة والفتنة (م. ن.، ص ١١٢).

ثم دخل في دائرة الحزبية وكيفية تشكلها والأرضية التي أسهمت في انتظامها داخل وحدات صغيرة منسجمة، وقد توسع في الحديث عن الحزب الأموي وسياسته الرامية إلى إنهاك الناس بالصراعات لكي يقبل بالأمر الواقع، وهو ما لمسَه الإمام الحسن، كما لاحظ المؤلف، في نفسية الجمهور

الاجتماعي والفكري متابعاً العناصر التي يعتقد أنها أسهمت في توجيه اتجاهات الأحداث أو أثرت فيها .

وقد توقف ملياً عند الوحدة السياسية الاجتماعية في المجتمع العربي، التي بقيت تحكم الصراع توظيفاً أو استهدافاً، نقصد القبيلة ولم يتناولها بوصفها معطى ناجزاً في التركيب الاجتماعي وإنما دخل في مجادلة مع الواقع ليخرج إلى أن الشعور بالانتماء للقبيلة كان نتاجاً لواقع اقتصادي، ولا يرى مسوغاً لاستمراره لدى الجماعات التي هجرت الجزيرة العربية . وقد تتبع توظيفات الانتماء القبلي في الإطار السياسي، في السقيفة وما بعدها إلى قيام التصنيفات الأوسع عرب - موالي والتي أنضجت التيارات الشعبية وغذتها .

أما دور الحضور القبلي في التمهيد لثورة الحسين، فقد رصده في قوة العصية الأموية وتفردا بالنفوذ والغنائم في عهد الخليفة الثالث عثمان .

ثم عرج، بعد القبيلة، إلى الديانات الرئيسة أو الاتجاهات الاعتقادية التي كانت تسود الحجاز في تلك المرحلة، والدور الذي كان يؤمل من بني هاشم

وعنوان كلمته: «الإمام الحسين عليه السلام»
في فكر العلالي.

د. حسن عباس نصر الله: شغل الإمام الحسين على عبد الله العلالي فكره: أحبه، عاشه في طفولته، قرأ أخباره، سافر معه في ثورته، شَمَّ فيه رائحة النبوة، أليس الحسين سبط محمد ﷺ، وسليل النبوات، وريب الوحي؟ كتب عنه وكتب، أتعب القلم وما تعب!

نلمح الحسين في «مثلهن الأعلى» نوراً يطوف في منازل الوحي، يلاحق جذه إلى حُجراتِ نساءه... ثم أطل في قصة «أرتب بنت إسحق» بطلاً غيرياً، تمثلت فيه الإنسانية، كان رسول السعادة، حملها إلى زوجين فرقتهما مكائد معاوية، ونزوات يزيد...

ثم أشفق العلالي أن يظل تعاطيه مع الإمام الحسين قائماً في مؤلفات جانبية؛ فاندفع يُقرِّد له ثلاثة كتب، أسماها «حلقات»، وهي: «في سمو الذات» و «تاريخ الحسين» و «أيام الحسين».

بعد أن أنهى أسفاره المضاءة بأنوار السُّبُط، الموشاة بتقاه وشمائله، المشرقة بشجاعته وإنسانيته، ظل عطشاً

الذي أثر المسالمة والتهرب من الحرب. وهكذا استمر في استعراض العناصر المشكلة للنسيج، فتناول مسألة الصراع بين الجديد والقديم وما أدى إليه من ذبذبة واضطراب (م.ن.)، ص ١٤٣.

ووصل أخيراً إلى الثورة ومفهومها وانفجارها في وجه عثمان ومآلاتها السياسية وغيرها.

كل هذه العناصر، استحضرها عند المباشرة بالحديث عن الإمام، ما يعني أنه التزم بالضوابط المنهجية التي عرضها في مقدمته فكانت معالجته للثورة شكلاً من الترجمة والتطبيق للتصور الاجتماعي الذي شكله في سياق متابعاته.

د. زراقت: أمّا المحور الثاني، وهو شخصية الإمام الحسين وثورته، فيتحدث فيه د. حسن عباس نصر الله، وهو رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية - الفرع الرابع، من مؤلفاته: الحركات الحزبية في بعلبك، الأدب السياسي الملتزم في الإسلام، ألوان الكلام، تاريخ بعلبك، ذو الرمة شاعر الصحراء، تاريخ كرك نوح، خليل مطران بين التقليد والتجديد. شارك في مؤتمرات وندوات كثيرة،

الأحكام الصحيحة؛ لأن الثقافة الواعية تدفعُ بصاحبها إلى استلهاَم النور، وصولاً إلى طريق الحق...

إنَّ التعليقات التي أطلقها لاقت «استنكاراً من قوم، ومُعتَبَةً من آخرين» (العلايلي، عبدالله، الإمام الحسين، ص ١).

ذكر، في مقدِّمة الطبعة الثانية لكتابه «الإمام الحسين»، الأسباب التي حرَّضته على أن يُخرِج للنَّاس تعليقاتٍ على تاريخ الإسلام. قال: «المرحلة الأولى من مراحل التاريخ الإسلامي يَجْثُمُ عليها الغموض»، وكلُّ ما حدث في الإسلام من بعد، له مرتجعٌ إليها ومَرَدٌ. وأكَّد ذلك في مقدِّمة الحلقة الثانية، إذ رأى «أنَّ جَمهرةَ المؤرخين المُخذَّثين لم توفِّقْ إلى إقامة التاريخ العربي على سُنَّةٍ منطقيَّة، وقاعدةٍ نقدية، تحتفلُ بتبيانِ الدوافع والعوامل التي من شأنها أن تُهيءَ ظروفَ التاريخ المختلفة، وتُحدِّدَ له الاتجاهات» (م.ن.، ص ١٤٧). أحبُّ أن يُمِيطَ الغموضَ عن المرحلة الأولى، مُناقشاً بعض النظريَّات التاريخيَّة الحديثة، فالتاريخ ليس علماً يسلكُ الأسلوبَ اليقيني؛ إنما يُنظَّم في نسق الآداب التي

إلى الأنوار، وظلَّت محبَّة الحسين تضيءُ في عقلِ العلايلي وقلبه... فكتبَ المقالات، وشارك في التَّدوَّات، وأقامَ المحاضرات. فكانت عاشوراء، على موعدٍ معه كُلَّ عام؛ تنتظرُه ليحاضرَ عن الإمام الحسين، فيعطرُ الأسماعَ بشذا الأحاديث النبويَّة، التي أرسلها جلُّه؛ فَتَكْتُبُ إمامة الحسين في قلب نبوة (محمد) «حسينٌ مُني وأنا من حسين» فيتسامى العلايلي في عطائه، ويتسامى في إبداعه، لينتهي الكلامُ عند نقطةٍ تلتقي في دائرتها الإمامة مع النبوة... العلايلي فقيهٌ متحرِّر، ولُغويٌّ مُدقِّق، وأديبٌ شاعريُّ الأسلوب، ومفكِّرٌ «فكره كما الإسلام، منهجٌ كُلِّي، لا يُؤخَذُ تفاريق، ولا يُدرَسُ أجزاءً معزولة».

ما كان العلايلي مؤرِّخاً بالمعنى الدقيق، إنما خرَّج للنَّاس تعليقاتٍ على تاريخ الإسلام، كما قال. إذ تناولَ بعضَ الأحداث التاريخية، قرأها بثقافةٍ واعية، وتجرُّدٍ، وموضوعيَّة، وجراءة... فعَلَّل، وحلَّل، وقارَن... مستخلصاً الحقائق بقدرِ ما وعَّاها فكره. أمَدَّته الثقافةُ بفهمِ الأحداث، وتمييزِ الحقِّ من الباطل، واستخلاصِ

الإسلام، وتعاليم القرآن الكريم. ثم التأمل في العناصر السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية... مركزاً على المعطيات الاجتماعية، والمعطيات النفسية لتفسير تصرفات الأشخاص.

هذه العناوين عالجهما العلايلي بروح تستشرف الحداث، وتنقله بدقة مناقشة ومُستتجة، غير مبالية باستنكار قوم، وعُتب آخرين؛ لأنه وعى الاسلام ديناً منفتحاً على الحياة، يقدّس المعرفة، ولا يقفُ عليها ضمن روايات ملققة، شاء لها الناس أن تكون مقدّسة، فقدّسوها مع أنها على خلاف ذلك.

سعى إلى إقامة التاريخ على سُنن نقدية منطقية، وقاعدة نقدية تحفل بتبيان الدوافع والعوامل، ودراسة النصوص التاريخية، وتحقيقها ضدّ «التدليس الخفي»، وتصحيح الوسائل في أسانيد الروايات... (م.ن. ص ١٤٩).

الموضوعية وعدم التعصب

العلايلي واحد من الذين عناهم بولس سلامة بقوله: «اعتمدت المؤرخين» الثقات من أهل السُّنة،

هي نتاج القوة النظرية والبحث الاستنتاجي، المبني على علوم جديدة مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الاقتصاد... ورأى بعد تأمل، أن كتابة التاريخ منذ أول عهد العرب «لم تكن بريئة على إطلاق القول، بل دارت على خدمة أغراض شتى، بين النزعة المذهبية، والولّى من السلطة الغالبة» (م.ن.، ص ١٥). وأقر رأي «غوته» الداعي إلى إعادة تدوين التاريخ، والنظر فيه من حين إلى آخر... بعد أن ظهرت، على مرّ العصور، وجهات نظر جديدة، في أفق البحث العلمي. لذلك باتت إعادة النظر في التاريخ الإسلامي، مطلباً ضرورياً ومُلحاً، واستجابة لهذا المطلب، انطلق العلايلي يقرأ التاريخ الإسلامي، بروية جديدة ومنهج متطور، وذهنية منفتحة، إختار الإمام الحسين مادة لدراسته، ومفتاحاً لمغلقاته، وباباً يلج منه إلى مدينة التاريخ الإسلامي... وأومات إليه القراءات أن دراسة الحسين تتطلب درساً لكل عناصر التاريخ الإسلامي: البيئة العربية قبل الإسلام وبعده، أي: فهم عصر الحسين، لكشف التجدر في الصراعات القبلية، التي ناهضت

الذين عصمهم الله من فتنه الامويين» (بولس سلامة، عيد الغدير، ص ٨).

أخذ على نفسه في المقدمة لزوم هذا النهج، وهو «التجرّد عن شتى النّوازع، والسيّطرات الوجدانيّة والاعتقاديّة» (الإمام الحسين، ص ١٢).

تعاطى مع قضية الامام الحسين بحياديّة، وتجرّد عن الميول المُسبّقة. قرأ حياة الحسين، وحياة يزيد، قرأ سيرة بني هاشم، وسيرة بني أميّة... أقام مقارنةً بلا ميول أو هوى. أحصى أعمال الهاشمين؛ وإذا بها تدور في حقل الفضائل، متناهية في حب الخير وفعله، وأحصى أعمال الأمويين فوجدّها تدور في حقل الشرّ، والحقد، والانتقام، والدسائس، والدّهاء، والمكر والقتل. عرض أعمال الهاشمين، وتركها تشرق بفضائلها، وعرض أعمال الأمويين تتلفّح بعتمة الشرّ... كان مُنصفاً لم يحاول تجميل خبايا الأمويين، وتصرفاتهم، مثلما فعل كثيرون من المؤرخين الذين وقعوا في فتنه الأمويين؛ فبدّلوا سيئاتهم إلى حسنات، ودافعوا عن شرورهم ومفاسيدهم، ومظالمهم... أو ممّن

كتب بروح عدائيّة لآل البيت، - أمثال: أبي بكر بن العربي، محمد بن عبد الله (المتوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م). وعبد الرحمن بن خلدون، صاحب المقدمة التي تضمّنت أسساً لكتابة التاريخ، وما استطاع أن يعمل بها عندما كتب عن الإمام الحسين بل كتب بعصبيّة بغیضة فقال: «الحسين قُتل بسيف جدّه» وعلّل السّخاوي في «الضوء السّلامع» (السّخاوي، الضوء اللامع، ٤/١٤٨). السبب، بأن ابن خلدون كان منحرفاً عن آل علي، بل كان يبغض علياً وآل علي... لقد طغى التعصّب على هؤلاء فأنساهم الموضوعيّة، فزوّروا الحقائق، وبدّلوا النصوص التاريخيّة، أين ذهب هؤلاء بأحاديث الرسول الكريم التي تطهّر الحسن والحسين: «الحسن والحسين سيّدنا شباب أهل الجنّة». أنرد أحاديث النبي، ونعمل بدعاوى ابن العربي، وابن خلدون وأمثالهما؟ إنّ يزيد وابن زياد، وعمر بن سعد... قد قتلوا الحسين، أمّا أتباعهم، الذين سلكوا خطّهم من أمثال ابن العربي، وابن خلدون، فقد أسفوا لأنهم لم يكونوا على عهده ليشركوا في دمه، فشاركوا في قتل مبدئه وثورته...

التزعة العلمية، قبل إرسال الأحكام
تعصباً وجهلاً...

فالحقيقة محجوبة، يكشفها
العلم، والموضوعية، والتبصر
بالأمور. وفي ما يأتي نعرض بعض
القضايا التي أثارها وأكدها بالبراهين
والمقارنات، واستقراء النصوص:

أولاً: التفریق بين الخلافة
والمُلْك: الأمويون ملوك، وليسوا
بخلفاء، وقد حرص في كتاباته على أن
يذكر عبارة «المُلْك الأموي»، بدل
الخلافة... ثم أشار إلى هذه الظاهرة
بقوله: «كان الصراع بين علي ومعاوية
ليس شخصياً فقط، بل صراع بين
مبدأين في مواقف حاسمة، صراع بين
الخلافة التي معناها النبوة عن الأمة،
وهي تتضمن معنى الرعاية، والحدب،
والانتفاء من الاحتكام، وبين المُلْك
الذي معناها الغلبة والسيطرة، وجمع
الحرّيات باليد الواحدة، وضغطها إلى
درجة الإنحاء أو الاجهاز...» (الإمام
الحسين، ص ١٦).

ثانياً: نفى وجود السلطة القضائية
بالمعنى الحديث في حكم بني أمية؛
لأنّ القتل كان على الطّنة «نظام الحكم
في عهد الملوك الأمويين لم يكن إلا ما

الجُراة: ليست معرفة الحق هي
العنصر الوحيد لإعلانه، والوقوف إلى
جانبه... إنما يحتاج الباحث إلى
جراة، وإلى نفس صافية، رفقاها الحق
فشقت... إن جمهور أهل السنة، إذا
تحدّثوا عن معاوية قالوا «رض» أي
يرفعونه إلى مصافّ الخلفاء
الراشدين... بل هم لا يطيقون سماع
انتقادات للأمويين... من وسط هذا
الجمهور، خرج قديماً المؤرخ أحمد
بن علي المقرئ (٧٦٦ - ٨٤٥هـ)
وصنّف كتابه «النزاع والتخاصم بين
الأمويين والهاشميين» الذي كان مفتاحاً
لشخصيات مستنيرة أفادت منه،
واتخذته مصدراً للكتابة عن الإمام
الحسين: منهم: عباس محمود العقاد
في كتابه: «أبر الشهداء» والعلايلي في
كتابه: «الإمام الحسين».

الجراة هي التي حملت العلايلي
على الخوض في هذا الموضوع،
لكشف المغالطات التاريخية، التي
سيطرت على قضية الحسين (عليه السلام).

تناول تاريخ الأمويين فأطلق
ملاحظات كانت مثاراً لدرد بين الناس،
دعا هؤلاء المعارضين في مقدمة الطبعة
الثانية إلى تدقيق الموضوع، واعتماد

نسمّيه في لغة العصر، بنظام الأحكام العرفيّة.

هذا النظام الذي يَهْدُرُ الدّماء، ويرفعُ التعارفَ على المنطق القانوني. ويَهْدُدُ كُلَّ امرئٍ في وجوده... كان في العهد الأموي هو النظام السائد» (م.ن.، ص ٣٣٩).

ثالثاً: اقتباسُ النظام البيزنطي، والتلوّنُ به منذ عهد معاوية، والتخلّي عن تطوير النظام الإسلامي الذي بدأ مع النبي، واستمرّ في عهد الخلفاء...

رابعاً: الانقلابُ الذي قام به الأمويون ضدّ حكومة الخلفاء، ذات الطابع الإسلامي العام، والطابع الإنساني الذي يَصْهَرُ فوارق الجنس البشري...

خامساً: حَمَلُ الأمويين مسؤوليّة اغتيال الخليفة الثاني «عمر»، أو أنّهم تسبّبوا به على الأقلّ...

سادساً: إظهارُ مساوئ الأمويين: وصفَ معاوية ويزيد وسائر الأمويين بكثير من المفردات التي تدلّ على الظلم والحقد والكيد والمجون، والعبث بحياة المسلمين وأموالهم ونسائهم... والاستهتار بأمور

الشريعة... ونقل ما قاله الحسن البصري في معاوية، وهو: «أربعُ خصالٍ كُنَّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزاعه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة، وذو الفضل. واستخلافه بعده ابنه يزيد، سَكْباً خَميراً، يلبسُ الحرير، ويضربُ بالطنابير، وأدعاؤه زياداً، وقد قال رسولُ الله ﷺ: الولدُ للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حُجْراً، وأصحابَ حُجْر. فيا ويلاً له من حُجْر وأصحاب حُجْر» (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٨٦).

ثم نفى العلالي عن معاوية صفة القوميّة العامّة، وقصره على العصيّة القبليّة الضيقة (البيت الأموي)، ثم السُفْياني). نقرأ هذا التعليق على كلمة جاءت في كتاب الإمام الحسين إلى معاوية. قال العلالي: «الله كم هي هذه الكلمة رقيقة شاعرة: «كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك». هذه الكلمة المشبعة بالشعور القومي الشريف، وقديماً قال الصّابي: «إن الرّجل من قوم، ليست له أعصاب تقسو عليهم» وهو اتّهام من الحسين ﷺ لمعاوية

و«أرينب بنت إسحق» قصة واقعية تصوّر جانباً من تاريخ الحكم الاسلامي، وتكشف شخصية الحاكم الذي يستغل نفوذه باسم الإسلام، ليوقع بين «المرء وزوجه»، وهذا تصرف يعيد ما روتهُ التوراة المزورة عن داود وأوريا وزجه . . .

«أرينب» المرأة الفاضلة تغتالها يد الحاكم، تريدها أمة في جملة عبيدها! وعبد الله بن سلام الزوج المخدوع، يذهب ضحية مؤامرة، خطط لها ونفذها معاوية، الذي أساء استعمال لقب خليفة المسلمين، لذلك نزع العلالي منه هذا اللقب وأسماء الملك. طلق المرأة من زوجها إرضاء لرغبات «نغله» يزيد. الملك يستغل سلطته للإيقاع بعبادة الرعية، الصالحة، الموادعة . . . فيسلبهم سعادتهم ونساءهم وأموالهم وأرواحهم . . . في الطرف الآخر من المجتمع يأتي الخير ممثلاً بالحسين، يغير مجرى الأحداث، ينقلها من ظلام الباطل إلى ضوء الحق . . . غير مبال بالاحقاد التي أخذت تنكدس في قلوب أعدائه . . . كان همه أن يمنح المظلوم العدالة، أن يعيد الأمان باسم الاسلام الصبح، إلى حبيبين ضاعا في دسائس

في وطنيته وقوميته، واتخذ من الدماء الغزيرة المسفوكة عنواناً على ذلك» (الإمام الحسين، ص ٣٣٨).

سابعاً: الاشارة بالحسين وآل البيت: هم فضائل وأخلاق وتقوى. كان حديثه عن الحسين ملائكياً وملائكياً أبداً. قال: «الحسين إنسانية ارتقت إلى نبوة: «أنا من حسين»، ونبوة هبطت إلى إنسانية: «حسين مني» فسلام عليه يوم ولد . . .» (م. ن.، ص ٢٩٠).

بعد أن عدّ الفضائل التي تمثلت في الحسين خلص إلى قوله: «إذا كانت العصمة هي هذه المزايا فأنا أقول بعصمة الحسين».

الأسلوب القصصي: عمد إلى القصة؛ لأنها تتضمن مقومات مشتركة مع التاريخ، إذ لا يرى فرقاً بين المؤرخ والزوائي في بعض الجوانب، كعرض نفسيّة الجماعات، والمؤثرات التي تحركها، وتشخيص المسيرات الرئيسية بالنظر إلى الطبيعة والوراثة والبيئة» (م. ن.، ص ١٥١). لذلك كتب التاريخ بالاسلوب القصصي وسمى الحلقة الثالثة: «أيام الحسين، عرض وقصص». وكتابات الأولى بدأت بالقصة: «مثلهن الأعلى» تحدّث فيها عن نساء النبي.

خليفة المسلمين بالغلط... قال عمرو بن العاص لمعاوية في شأن أرينب: «إنَّ النَّاسَ تَحَمَّلُوا مِنَّا ضَرَاوَةً فِي السِّيَاسَةِ، وَضَرَاوَةً فِي الْأَمْوَالِ، إِلَى ضَرَاوَةٍ وَضَرَاوَةٍ فِي الْأَحْكَامِ... وَلَا أَرَاهُمْ إِلَّا ثَائِرِينَ بَنَاءً، إِذَا جَعَلْنَا بَيْوتَهُمْ هَدَفًا لَضَرَاوَةٍ شَهَوَاتِنَا» (م.ن.، ص ٥١٣).

أنهى العلابي قصته بكلماتٍ مثقلة بالشاعريّة والرمزيّة، تكشف طُهرَ الحسين، يغسلُ جناية معاوية وابنه، يغسلُها من أجل الإسلام، من أجل الإنسان. حطّت فراشة بيضاء (أرينب) كأنها الزهرة على كتف غصن يمس (عبد الله) وكانت ناعمة، تلهو بأغاني سعادتها...

قبضَ بها عنكبوت صغير (يزيد)، ودّ لو يروي بهناءَها شهوات نفسه الحرّى...

وما لبثَ حتى جاء قَرْمُ العناكب (معاوية) يبادر، وراح ينسجُ شبابه حولها.

وإذ ذاك حوّم بلبل غريد (الإمام الحسين) كان ينشرُ بالحائه في الأرواح نشواتٍ منعشات، وحطّ حيث انتصبت أشرارُ المأساة.

فَنَقَدَ الْقَرْمَ نَقْدَةً، وَمَضَى يَغْرِدُ تَغْرِيدًا كَانَ مَعْنَاهُ ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (م.ن.، ص ٥٢٨).

ما استطاع العلابي أن يكتُبَ التاريخَ مع الإمام الحسين، إلا بهذا الأسلوب الشاعري المشرق، كلماته يلتقطها من أجواء الوحي، تذهّب حروفها شمسُ النبوة... كلمات يَزيصُفُها في صرح الحق، بعد أن يَفْزَعُها بجراة من قلاع الباطل.

د. زراقط: وفي المحور نفسه، أي شخصية الإمام الحسين عليه السلام وثورته يتحدث د. عصام نور الدين، وهو أستاذ العلوم اللغوية في الجامعة اللبنانية، ولديه العديد من المؤلفات والابحاث، ومنها: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، الفعل والزمن، ابن هشام الأنصاري، حياته ومنهجه النحوي، علم الأصوات اللغوية، علم وظائف الأصوات اللغوية، أساسيات النحو إلخ... شارك في العديد من المؤتمرات والندوات، وعنوان كلمته: «الإمام الحسين عليه السلام في مؤلفات الشيخ عبد الله العلابي».

د. عصام نور الدين: عنوان الندوة، كما تلاحظون، مثني الأضلاع

● منتدى المنهاج

الحسين عندما كان يملأ الأرض والكون بحضوره الجسدي والفكري والروحي والبطولي الثوري... جامعاً صفات النبوة المحمدية بكل ما فيها من وصل للسماء بالأرض... ومشمثلاً على صفات البطولة العربية الإسلامية التي زرعتها فيه أبوه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بكل ما في هذه البطولة التي ترتقي بالأرض وتسمو بها إلى الأعلى باتجاه الله والمثل والأخلاق والخلاص والبطولة...

■ فمن أحب النبي وعلياً وما يمثلان وبالطريقة التي يمثلانها وبالمنهج الذي يتبعانه... رأى في الحسين انصهار النبوة في الإسلام أو صعود البطولة إلى النبوة مصداقاً لقول الرسول الكريم: «حسين مني... وأنا من حسين».

■ ومن تجانف عن حب النبي وعلي... رأى في الحسين شخصاً عادياً... ولم يستطع أن يهتدي إلى الجوهر المشرق... وإلى الألوهية الباهرة لحامل الرسالة الإسلامية، ولتضحيات البطل العلي... فبقي حبيس اللحم والدم والعظم... يتحرك بقانون البهيمية التي تفتش عن الكلا

في الشكل، مثلثها في العمق؛ لأنه يتكلم على:

١ - الإمام الحسين عليه السلام،

٢ - في مؤلفات الشيخ عبد الله العلايلي رحمه الله...

وتحديد الكلام وحصره في الشيخ العلايلي يحدّد زاوية النظر والتأليف والقراءة، وهي النظر إلى شخصية الإمام الحسين وتاريخه من زاوية علايلية محددة.

إلا أن هذا المنهج الصارم في التحديد لم يمنعني من رؤية الضلع الثالث في العنوان... ألا وهو قارئ الإمام الحسين عليه السلام في المؤلفات العلايلية... وهذه قضية أساسية ومهمة؛ لأن القراءة مستويات... ولأن الفهم مستويات... ومعنى هذا القول أن شخصية الإمام في مؤلفات العلايلي تختلف باختلاف المتلقي أو القارئ أو الدارس... وأن ما أراه أنا ممتازاً أو جيداً قد يراه إنسان آخر رديئاً سخيلاً ممثلاً بالخطأ... لو كان الناس يتفقون في النظر إلى التاريخ والأديان والأنبياء والرسل والأبطال والأشياء... بل والحوادث التي يعيشونها لما اختلفوا، أول مرة، في النظر إلى شخصية الإمام

والماء... فتعشو أشعة الشمس عيني صاحبها الذي يبقى أهون على نفسه وعلى الناس من عطفة عزز في واد غير ذي زرع...

■ ومن نظر إلى النبي ورسائله نظرة احتقار ورفض... دون أن يستطيع منافحة هذه الدعوة السماوية الخالدة التي تعهد بها الله ونبيّه والإمام... لجأ إلى المداينة والنفاق والتذلل... ليعدّ العدة للإيقاع بالإسلام والمسلمين... وليصيب منهم مقتلاً علويًا أو حسينيًا... فكانت نظرته إلى الحسين، عليه السلام، نابعة من نظرته إلى جده المصطفى وأبيه الإمام البطل الذي اتخذته النبي أخاً... إن من نظره هذه النظرة احتقر الإمام... ونعته بالخروج على «إمام زمانه»... هذا «الإمام» الفاسق، الفاجر، الشارب الخمر، القاتل النفس التي حرم الله، والمعلن بالفسق والفجور... والنهاب مدينة الرسول ومبيحها ثلاثة أيام... والقاتل مئة من المهاجرين والأنصار... وعشرة آلاف من الموالى والعرب والتابعين... والمفتض جيشه المعتدي باسم الإسلام أكثر من ألف عذراء من بنات الصحابة... والساطي

على الأعراس والأموال... والمأخوذة «بيعته» بالاحتيال والإرهاب والقوة وكُمّ الأنفاس... فأحلّ في نفسه، وفي الواقع، قتل الإمام الحسين... وهذا النفر من الناس لم يفن... وقد أفاجئكم إذا قلت لكم إن أستاذًا جامعياً يبدو متديناً... وكنت أظن فيه العلم والتقوى والإيمان... فأجاني بقوله: إن قتل الحسين بن علي واجب ديني على كل مسلم القيام به إن استطاع إلى ذلك سبيلاً لأن الحسين، في ظنه، قد خرج على إمام عصره بعد مبايعته ودون سبب... فتأمل!!!

نحن، إذًا، أمام نصّ علاليّ واحدٍ في شكله أو مستواه السطحي - كما نقول في علم اللغة التوليدي -... ولكننا أمام قراءات له وقراءات في مستواه العميق. وقراءتنا الشخصية لهذا النصّ محكومة بما أسميه «الموضوعية» الملتهبة حباً، والمتشوقة إلى معانقة البطل الإسلامي والاندماج فيه... والتفاني في بطولته وفي منهجه... ذلك أن سيرة هذا البطل الإمام تذكرنا، في كل الأحوال، بصاحب الرسالة المصطفى محمد... جدّه... أو بأيّيه أخ

● متدى المنهاج

فالبطولة - كما النبوة - امتدت، بمعنى من المعاني، من النبي... إلى علي... إلى الحسين... إلى أبطال المقاومة الذين أصبحوا المثل الأعلى في وقتنا الحاضر... فتمنى لو نستطيع أن نكون مثلهم في الجهاد... أو أن نكون مثلهم في قتال «إسرائيل»... بعدما قيدنا العمر بالخمسين... وسجننا التاريخ في التاريخ بعدما سجننا «إسرائيل» في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ عندما كنت ذاهباً إلى الجامعة اللبنانية في صيدا لأداء مهمة المحافظة على بذرة العربية المقاومة في حومة الساحة المحتلة يومذاك... وهذا التمني الذي نطلقه الآن لا يشبه تمنى الذي قال: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [النساء/٧٣/٤]... لأننا عملياً معهم، ولكننا نطمح إلى إعطاء المزيد.

والآن... كيف رسم العلالي صورة الإمام الحسين عليه السلام... حسب قراءتنا له من الزاوية «الموضوعية» الملتزمة كما أسميناها؟

جلس العلالي في الأربعينات من هذا القرن ليكتب سيرة الإمام الحسين عليه السلام وقد استوعب علوم

الرسول... الإمام علي بن أبي طالب، لأن دين الحسين هو دين علي... ودين علي هو دين محمد... ودين محمد هو الدين الذي اختاره الله للناس... ولأنني من القائلين إن من اقتدى بالبطل المؤمن المسلم اهتدى... ومن اهتدى تفتحت في نفسه ينابيع الحكمة، ومن تفتحت في نفسه هذه الينابيع ارتقى حتى الآية بحيث يصبح مثلاً أعلى متجسداً بشراً... لأن البطولة، في نظرنا، أصالة في العمل، والنبوة أصالة في المعرفة... والبطل هو ذاك الذي تشتد عزيمته على قدر تفاقم الأخطار... فيجسد في حركته على مسرح الفكر والتاريخ والواقع أماني الأمة المشتركة في صبوتها إلى التحقق من نسيج التاريخ... وهكذا... ترمز البطولة، في قراءتنا، إلى نصرته الحق على الباطل، والمجسد، في هذه الأيام، في سياسة الاستعمار والاستبداد، وفي مقارعة اليهودية والصهيونية المتسلحة بالدعم الأمريكي، في فلسطين المحتلة وفي جنوبي لبنان وبقاعه الغربي وفي الجولان السوري... وفي كل أرض عربية أو إسلامية وضع الاستعمار يده المخربة القاتلة عليها... ولذلك

عصره العربية الإسلامية الأصيلة من جهة والعلوم الأجنبية المترجمة ككتب كارل ماركس وإنجلز ولينين وأصحاب المدرسة الماركسية اللينينية والديالكتيكية المادية والتاريخية... وداروين وأصحاب النظرية النشوءية التطورية... ومدارس علم النفس على اختلافها... ومدارس الفلسفة على اختلافها وتنوعها... ومناهج التاريخ والتأريخ على غناها... وفن القصة والرواية وما إلى ذلك، من جهة أخرى، منطلقاً من حقيقة أن «التاريخ قطعة من الزمن ليس لها حدود وراء الكائن الذي يفرغ عليها صنوف التهاويل»، وأن المؤرخين العرب والمستشرقين لم يوفقوا إلى إقامة التاريخ العربي والإسلامي على سُنّة منطقية وقاعدة نقدية... فانتقدهم، وانتقد موازينهم ومعاييرهم التي لم توفق إلى بناء التاريخ، ولم تنجح في تحقيق النصوص تحقيقاً دقيقاً موضوعياً... فوقعوا في التزوير المكشوف حيناً، وفي التدليس الخفي الكسول المفضي إلى قلب الحقائق وتضييع الحقوق والبعد عن المنهج المنقذ حيناً آخر.

لذلك جمع العلايلي النصوص الوثيقة، ومواد بناء كتابه الصالحة، وتسَلَّح بتخطيط أولي لموضوعه، ولم يهمل الرسوم والصور التي تعصمه من الزلل والتهيه والضياع... وتسَلَّح بسلاح لم يمتلكه غيره من المؤرخين في العصر الحديث... وهذا السلاح هو اللغة العربية... فانطلق من اللغة لفهم التاريخ والمجتمع ولم ينطلق من التاريخ لفهم اللغة... وجعل الحاضر - بكل ما فيه - أداة لتفسير الماضي دون أن يقع في شباك هذا الماضي وفخاخ المؤرخين - وما أكثرها - واستعمل ملكته الأدبية الرفيعة ليكون مؤرخاً روائياً... أو روائياً مؤرخاً... يعرض نفسية الجماعات والمؤثرات التي تحركها، ويشخص المسيرات الرئيسية بالنظر إلى الطبيعة والبيئة والوراثة... معتمداً على قانون التطور العام في الاجتماع... وعلى علم النفس الفردي والجماعي... وعلى الفلسفة... وعلى علم التربية الحديث... وعلى دراسة عقلية الأمة العربية وحركتها الاجتماعية والدينية والأدبية منذ الجاهلية وحتى مصرع الإمام الحسين على أيدي الذين ثار من أجلهم...

الشروق... ولكن هيهات...
هيهات... إن من ظن أنه يحجب نور
محمد بسبب عليّ وشمته على المنابر
وفي المساجد والساحات
والمحافل... ويقتل حسن بالسهم...
ويقتل حسين قتلاً مفجعاً... كان كمن
يضع أصبعه في وجه الشمس ليمنع
بزوغها... وليخفي شروقها...
ولينفي حرارتها المحررة والباعثة الحياة
في كل الأحياء...

سافر العلالي في التاريخ...
وأحضره... وسجّاه على مشرحة
العقل والعلوم والتقنيات الحديثة...
واستعمل اللغة ليقول إن العرب من
العربة - أي الصحراء - وإن قحطان
وعدنان قد لا يكونان شخصين
تاريخيين... ولكن قد يكونان من
القحط والعدن... ونُبّه إلى أن «البره»
عند القدماء هي الزمن الطويل
الممتد... بينما تعني عند المعاصرين
الزمن القصير السريع الانقضاء...
وهكذا... رأينا أن الحسين في مؤلفات
العلالي هو الشمس... وهو الإسلام
الذي غرسته فيه النبوة، والبطولة،
والشرف المؤثل... فارتحل حسين
النبوة... وحمى حماها طفلاً...

ومن أجل حاضرهم ومستقبلهم...
وتسلّح الشيخ العلالي، قبل هذا
وذاك، بحاسة تاريخية واجتماعية
وأدبية نادرة جعلته يمزق شرنقة
المواقف القبلية والقبلية والمذهبية التي
زرعها معاوية... أو التي بعثها معاوية
خبيثة مشوّهة بغية هدم الإسلام وإذلال
المسلمين بعدما أحمَد الإسلام نارها
بإخماد السفينيين... فخرج العلالي
من الشرنقة كما تخرج فراشة
الحرير... لا كما تخرج دودة
القطن... خرج ليعلن الحق كما رآه
بالصوت الجهير... فدفع الثمن غالياً
جداً... ونعت بالشيخ الأحمر...
وأبعد بقسوة وبخشونة تخلو من اللياقة
واللباقة عن مهمة الإفتاء... فخسرت
الجمهورية مفتياً لو وصل لوصل ما
انقطع... ولردم الهوة السفينانية بين
الاتجاهات أو الخطوط... ولأسهم في
العمل على جعل المذاهب الإسلامية
اجتهادات شخصية لا تلزم حتى
أصحابها... لأن الإسلام القرآني أكبر
من كل المذاهب التي استغلها
الأمويون لإطفاء نور
الله... وإخفاء أشعة الإسلام...
ولمنع الشمس، شمس الحق من

وقاتل من أجلها شاباً... وثار من
أجلها كهلاً وشيخاً... ودفع حياته
الدنيا ثمنا كان يراه زهيداً جداً...
إن العلالي في مؤلفاته الثلاثة عن
الحسين:

١ - تاريخ الحسين: نقد وتحليل.
٢ - سمو المعنى في سمو الذات أو
أشعة من حياة الحسين.

٣ - مشاهد وقصص من أيام
النبوة... وكان في الطبعة الأولى
باسم: أيام الحسين -

إنه لم يكن مؤرخاً عادياً... ولم
يكن روائياً كما حاول أن يقول إنه
يشتهي أن يكون... بل تجاوز وظيفة
المؤرخ... ووظيفة الراوي أو الراوية
فكان ذلك المخرج السينمائي الملهم
الذي استحضّر التاريخ وأبطاله...
والبيئة العربية بكل تنوعاتها...
والجماهير العربية في حركتها المسرحية
الدائمة... ليصل إلى النقطة التي بدأت
منها وفيها قصة مصرع الإمام
الحسين... الذي وصف خروجه
الثوري المظفر بقوله:

«إنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً
ولا ظالماً...
وإنما خرجت:

■ لطلب الإصلاح في أمة جدي،
■ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى
عن المنكر،
- فمن قبلني بقبول الحق... فالله أولى
بالحق.

- ومن ردّ عليّ هذا... أصبر حتى
يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو
خير الحاكمين»...

وكيف لا يثور الإمام الحسين هذه الثورة
الإصلاحية، الأمرة بالمعروف والنهي
عن المنكر، والمستمدة نسغ كينونتها
من الحق... كيف لا يثور وهو القائل:
«إنّا أهل بيت النبوة،
ومعدن الرسالة،
ومُخْتَلَفُ الملائكة»...

بنا... فتح الله... وبنا... ختم...
ويذكر الإمام الحسين أختتم هذا
المدخل الحوارية المتحيز للحق
بالحق... أو الملتزم بالمنهج
الموضوعي الملتهب حباً وشوقاً...
وتنزيهاً بمؤلفات العلالي الثلاثة التي
تتطلب من القارئ العادي الصبر
والمثابرة والدقة... وتتطلب من
الدارس الجاد المعادة والمذاكرة...
وعدم إهمال الحواشي... هذه
الحواشي تحولت في قراءتي متناً مهماً

شكر د. زراقط السادة المتتدين،
 وفتح باب النقاش. فقال الاستاذ غازي
 أيوب: «إن الشيخ العلالي أراد أن يرّد
 المسلمين إلى بيت الاسلام، بعدما
 خرج السلطان وأعوانه منه، وكان نهج
 الإمام الحسين عليه السلام هو السبيل إلى
 عودتهم تلك، فبئس لهم». وسأل
 الاستاذ علي البهادلي د. جابر: هل
 يمكن أن يكتب المؤرخ عن القرن الأول
 من دون أن يتأثر به، وطلب منه أن
 يوضح مفهوم الحرية عند العلالي
 وطلب البهادلي من د. نور الدين
 تفصيلاً لقضية أثارها، وهي ميل
 الخليفة الثاني في أيامه الأخيرة
 إلى الإمام علي، ما جعل الأمويين
 وأعوانهم يدبّرون مؤامرة اغتياله.
 وأثار د. خليل أحمد خليل مجموعة
 أسئلة منها: كيف أتبع لشاب
 بيروت، ابن موظف عثماني - نسبة
 إلى السلطنة العثمانية - أن يكتب عن
 الإمام الحسين عليه السلام كتابة منصفة
 جريئة في أوائل هذا القرن، ثم لماذا
 أعاد الكتابة في مرحلة تالية؟ وهل كان
 لديه مشروع سياسي؟ وما هي الشروط
 التاريخية التي كوّن هذا المشروع؟
 وما هي عناصره ومناخ تكوّنه؟ ورأى

غير مرة... فأثارت هي والمتن صورة
 الإمام الحسين عليه السلام مشعّة... ورسمت
 صورة يزيد وأبيه معاوية وجده أبي
 سفيان كما هي فجاءت تنويجاً لجمال
 القبح الأخلاقي والديني والسياسي
 والاجتماعي والاقتصادي عند العرب...

ثورة الإمام الحسين عليه السلام في
 كتب العلالي ثورة إسلامية إيمانية
 صافية كما كانت أول مرة أيام النبي
 محمد ضد ثورة الأمويين
 المضادة... والتي هدفت إلى إزالة
 الإسلام وأهله... ولم تتوان عن اغتيال
 عمر بن الخطاب (ر) الذي مال - كما
 أثبت العلالي - إلى الطالبيين وكان يريد
 - عندما كان يمتلك أمره - أن يجعل
 الخلافة لعل... كما لم تتوان هذه
 السفينية الجاهلية من التحالف مع
 الأجانب والانسحاب من قبرص وبعض
 اليونان ومن دفع الجزية للأجانب كي
 تتفرغ لقتال المسلمين... كما لم تتوان
 عن الاستعانة بالعناصر المسيحية غير
 المحبة للإسلام والمسلمين من أجل
 الحط من الدين الحنيف...

فهل كثير على العلالي أن يرّد
 غير مرة في كتابه: «إن الحسين هو أبو
 محمد»؟

إضافة إلى أنه يعتمد منهجاً يرى أنه يمكن تفسير التاريخ باللغة، ما يثير تساؤلاتٍ عن وجود مفردات - مصطلحات شيعية في كتاباته، وعن مصادرها وكيفية حصوله عليها؟
وختتم د. زراقط بشكر المتدربين والمشاركين والحضور.

د. خليل أن العلالي ليس مؤرخاً، وهو لم يدع ذلك، ولا يجوز أن يناقش بوصفه عالماً تاريخياً، كما أنه ليس انترولوجياً، وتساءل عن الجديد الذي قدمه؟ ورأى أن هذا الجديد يتمثل بأنه اتخذ مواقف، ولم يكتفِ بالسرد،

* * *



مركز تحقيقات کاتویر علوم اسلامی